==========

المحور الأول: المنهج العلمي في البحث السوسيولوجي:

المحاضرة الأولى (1): المنهج الكمي والكيفي

تمهيد:

من حيث نمط التفسير أو التحقيق: ينقسم البحث العلمي إلى قسمين أو نموذجين **المنظم** ويسمي **بالبحث الكيفي**، وغير المنظم ويسمى **بالبحث الكيفي.**

النّموذج المنظّم من التفسير/ التحقيق، يُصنّف في العادة **بالبحث الكمي**، وغَير المنّظم بالبحث الكيفي. في النّموذج المنّظم كُل شيء يُشكل عمليات البحث: (الأهداف، التصميم، العينة، الأسئلة المحددة التي يجيب عليها المستجوبين...) هي مُحددة مُسبقاً. **النموذج غير المنظم (الكيفي)**، على العَكس من ذلك، إذْ يَسمح بالمرونة في كافّة هذه الجوانب من العمليات أو المراحل. النموذج المنظم هو الأكثر ملائمة لتحديد مدى/حجم المشكلة أو القضية أو الظاهرة. أمّا غير **المنظم(الكيفي)** فيكتشف طبيعتها. كلا النّموذجين لَهما مكانتهما في البحث، وكلاهما لَهما نقاط القُوّة ونقاط الضُعف.

علاوة على ذلك، لا يُمكن أَن تَحصر نَفسك فَقط في مَسألة البحث مُنظم أو غير منظم، كمي أو كيفي؛ إن اختيار النّموذج المنّظم أو غير المنّظم؛ أو نمط التفسير الكمي أو الكيفي، إنّما يعتمد على:

- **الهدف من تفسيرك:** الاستكشاف، التأكيد أو التكميم.

- **استعمال النتائج:** صياغة سياسة أو فهم العمليات.

إنّ التمييز بين البحث الكمي والبحث الكيفي، إضافة إلى عملية التنظيم واللاتنظيم في التفسير، يَعْتَمِدُ كذلك على بعض الاعتبارات الأُخرى.

- تُصَنَّفُ الدِّراسَة بوصفها كيفية إذا كان الغرضُ من الدِّراسة هو أولاً وصف موقف، ظاهرة، مشكلة أو حدث ما.

- إنّ المعلومات المُجَمعة عند استخدام المتغيرات تُقاس على أساس المقياس الاسمي أو الترتيبي.

- إذَا كان التحليل المُسْتَخْدَمُ يُؤَسِّسُ الاختلاف في الموقف، الظاهرة، المشكلة أو الحدث بدون تكميمها.

مثال: إنّ وصف المواقف الملاحظة، التعداد التاريخي للأحداث، حِساب اختلاف أراء الناس حول قضية ما، وصف الظروف المعيشية لمجتمع ما. كلها أمثلة للبحث الكيفي.

- وَمنْ جهة أخرى؛ تُصنّف النّراسة بوصفها **دراسة كمية** إذا أَردت **"تكميم"** الاختلاف في الظاهرة، أو المواقف، أو المشْكلات أو القضايا و:

- إذا اسْتَعملتَ في جمع المعلومات متغيرات كمية.

- وإذا اسْتخْدمْتَ **التحليل (الكمي)** للتأكد من أَهمية الاختلاف.

مثال: كم عدد النّاس الذين لَديهم مشكلات خاصّة؟

- إنّ استخدام الإحصاء لَيْس عُنصرا مُكَمِّلاً في الدِّراسات الكمية. الوظيفة الأساسية للإحصاء التَمثيلُ بوَصفه اختباراً لتأكيد أو نفي الاستنتاجات التي اسْتخْلَصْتَها على أساس فَهمك من تحليل البيانات. الإحصاء وسط الأشياء الأخرى، يُساعِد على تكميم أهمية الارتباطات أو العلاقات، ويُزَوِّدُ بالثقة التي يمكن أن تَضَعها في النتائج، ويُساعِدُكَ على عَزْل تأثيرات المُتغيرات المُختلفة (*Ranjit Kumar, 2005, p12*).

كِلاَ النّموذجين من البحث (الكيفي والكمي) لهما نقاط القوة ونقاط الضُّعف، ولهما ايجابيات وسلبيات، لا أحد أسمى من الآخر في جميع النواحي. وفي العديد من الدراسات نحتاج إلى أن نجمع بين النموذجين (*ranjit kumar, 2005, p13*) .

1-مفهوم البحث الكمي والكيفي:

البحث الكمي هو البحث الذي يُعنى بجمع البيانات من خلال استعمال أدوات قياس كمية يجرى تطويرها بحيث يتوافر فيها الصدق والثبات. ويجرى تطبيقها على عينة من الأفراد تمثل المجتمع الأصلي، ومن ثم، معالجة البيانات الكمية بأساليب إحصائية تقود في النهاية إلى نتائج يمكن تعميمها على المجتمع الأصلي ضمن مدى معين من الثقة.

يعرف البحث الكيفي/ النوعي باعتماده، في العادة، على سحب العينات الهادفة والمقابلات التفاعلية التي ترتكز على هيكلية شبه محددة لجمع البيانات-وترتكز أساسا على استنباط ما يصدر عن الناس من أحكام، وتوجهات، وتفضيلات وأولويات و/ أو إدراكات تجاه موضوع ما-ثم تحليلها باستخدام السوسيولوجيا أو الانثروبولوجيا.

تستخدم المناهج الكيفية بصفة أساسية في انتاج بيانات حول الخبرات والمعاني الشخصية للفاعلين الاجتماعيين. وتهتم هذه المناهج -في العادة -على لغة الفاعل الاجتماعي أو ملاحظة سلوك الفاعل (وأحيانا يمكن تصوير الملاحظة سينيمائيا).

يمتلك البحث الكيفي نقاط قوة حيث أنه يلقي المزيد من النظرات الثاقبة في العمليات السببية؛ كما أنه يتميز بالدقة والعمق في المعلومات عن مسائل محدودة، إلا أنه يفتقر إلى التعميم.

البحث الكيفي معنيٌ بفهم المعنى الاجتماعي، بينما **يركز البحث الكمي على الأنماط وإمكانية التنبؤ**. معظم أساليب البيانات الكمية عبارة عن مكثفات للبيانات. فهي **تكثف البيانات** من أجل إدراك الصورة الكبيرة، وعلى العكس من ذلك، فإنّ الطرق الكيفية تفهم على أفضل الوجوه بوصفها أدوات لتعزيز **أو تجويد البيانات.**

وتميل المناقشات الأخيرة حول الخصائص المميزة للمقاربتين النوعية والكمية إلى تحييد استخدام المفهوم السياقي لوصف أساليب جمع البيانات، في محاولة " لاستيعاب الظاهرة الاجتماعية وفهمها في سياقها الاجتماعي، والاقتصادي والثقافي". وفي المقابل، فإنّ البحث الكمي ينتهج مقاربات تجمع فيها المعلومات التي لا تشوبها المؤثرات الخاصة الناجمة عن السياق الذي يجري وصفها فيه. ويعتمد التحليل النوعي على المهارات التحليلية والمتكاملة الخاصة بالباحثة، بالإضافة إلى

المعرفة الشخصية بالسياق الاجتماعي؛ حيث يتم جمع البيانات. يتمثل التركيز في التحليل النوعي في العملية الحسية أو استيعاب الظاهرة أكثر من التنبؤ والتفسير. كما تمت الإشارة إليه سابقا.

<u>ويتميز البحث الكيفي بالعديد من المميزات يمكن ذكرها على النحو الآتي:</u>

- اعتماد البحث الكيفي على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرا مباشرا للبيانات، وعلى الباحث نفسه باعتباره أداة أساسية في جمع هذه البيانات.
- بيانات البحث الكيفي وصفية تستخدم الكلمات والصور وليس الأرقام.
- يهتم البحث الكيفي بالعمليات أكثر من مجرد النتائج. فلو استطاع البحث الكمي إظهار حدوث التغيير في الاتجاهات من مقارنة النتائج على الاختبار القبلي والاختبار البعدي، فإنّ البحث الكيفي يظهر كيف ترجمت هذه الاتجاهات إلى نشاطات يومية وإجراءات عملية وتفاعلات اجتماعية.
- يعتمد البحث الكيفي على تحليل البيانات بطريقة استقرائية، فلا يبحث عن البيانات لإثبات أو نقض فرضية معينة صيغت قبل البدء في الدراسة؛ بل يبني البحث الكيفي مبادئ ونظريات عامة بواسطة جمع المعلومات الجزئية وربطها مع بعضها البحث.

2-النظرية في البحث الكمي والبحث الكيفي:

في **الدراسات الكمية**، يستعمل المرء النظرية على نحو استدلالي، كما أنه يتخذها منطلقا له منذ بداية الخطة الخاصة بهذه الدراسة. ونظرا لأن الباحث يهدف إلى اختبار أو تحقيق نظرية ما أكثر من استهداف تطويرها؛ فإنّه يتبنى إحدى النظريات، ثم يشرع في جمع البيانات ليختبر بها النظرية، ويمعن النظر في مدى ما تقدمه هذه النتائج من برهنة على صحة هذه النظرية أو نقضها لها. وتصبح النظريات إطار للدراسة بأكملها، أي نموذج ينظم الخطوات الخاصة بجمع البيانات...فالباحث الكمي يختبر النظرية أو يتحقق منها عن طريق فحصه للفروض أو الأسئلة المستمدة من هذه النظرية.

هذا النموذج مختلف أشد الاختلاف عن الاتجاهات الاستقرائية في البحث، والتي من المعهود أن يستعملها الباحثون الكيفيون. **فالباحثون الكيفيون** معنيون بتوليد النظرية. ولأنّ الباحثين الكيفيين يضعون هذا الأمر نصب أعينهم، فإنهم كثيرا ما يعتمدون على النماذج الاستقرائية التي تستخلص فيها النظرية استخلاصا مباشرا من البيانات. إنّ مثل هذا النموذج الذي يكثر استعماله على يد الباحثين التأويليين والمفكرين النسويين هو نموذج النظرية الموثقة. تتولد النظرية مباشرة من البيانات الامبريقية. وبتعبير آخر، يقوم الباحثون الكيفيون، عن طريق انتفاعهم بالسرديات التي تم انتاجها أثناء إجراء المقابلات، أو في البحث الاثنوجرافي، أو في النصوص (وذلك في حالة القيام بتحليل المضمون) يقوم هؤلاء الباحثون الذين يستخدمون الاتجاهات الاستقرائية بالانتفاع من هذه البيانات الامبريقية في بلورة نظريات أكثر عمومية وأوسع نطاقا عن الحياة الاجتماعية تنبثق من واقع الناس الذين يعيشون ذلك الجانب الذي تجري دراسته من جوانب الحقيقة الاجتماعية.

3-خطوات البحث الكمي والكيفي:

أ-خطوات البحث الكمي:

- صياغة سؤال البحث؛

- صياغة فرضية؛
- تحديد المتغيرات؛
- تصميم أداة القياس؛
- وضع فئات التصنيف؛
- اختيار العينة (عشوائية)؛
- اختبارات الصدق والثبات؛
- الاختبار الاحصائي عند الضرورة؛
- حساب عدد النتائج؛
- عرض النتائج.

ب-خطوات البحث الكيفي:

- تحديد مجالات الموضوعات الرئيسية؛
- تحليل المجموعة الفرعية للبيانات؛
- كتابة الفئات التصنيفية (حرفيا وبشكل عام)؛
- إعادة تحليل البيانات، تحليل بيانات إضافية؛
- تدوين الملاحظات في المذكرات الموجزة؛
- تحليل البيانات الإضافية؛
- تنقيح فئات التصنيف، تأليف فئات عامة ذات طبيعة كلية شاملة؛
- تحليل البيانات الإضافية؛
- تفسير المضمون؛
- العرض النهائي.

4- طرق البحث في البحثين الكمي والكيفي:

تقدم "ساندر هاردنج" (Sandra Harding) تعريفا لطرق البحث على النحو التالي: "تعتبر طريقة البحث أسلوبا...لجمع الشواهد والأدلة. إنّ كل أساليب جمع الشواهد تندرج ضمن واحدة من الفئات الثلاثة التالية: الإنصات إلى الاخباريين (أو سؤالهم)، أو ملاحظة السلوك، أو فحص الآثار والسجلات التاريخية.

كثيرا ما يستخدم **الباحثون الكيفيون** واحدة أو أكثر من الطرق البحث التالية (ولو أن هذه القائمة ليست قائمة حصرية لهذه الطرق): البحث الاثنوجرافي، وإجراء المقابلات المتعمقة، والتاريخ الشفاهي، والبحث الاثنوجرافي الذاتي (أي الذي يكتبه الباحث بنفسه عن نفسه-المترجم)، وإجراء المقابلات مع جماعات المناقشة المركزة، ودراسة الحالة، وتحليل الخطاب، وتحليل المضمون.

في مقابل ذلك، يستخدم الاتجاه الكمي مجموعة مختلفة من طرق البحث، والتي تمثلها بصورة نموذجية: التجارب، والمسوح أو الاستبيانات، والتقييم، وتحليل المضمون، والتحليل الاحصائي...